مجلة أبعاد/ مختبر الأبعاد القيمية للتحوّلات الفكرية والسياسية بالجزائر
جامعة وهران2 – المجلد 05 / العدد 02 ديسمبر 2019
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

العقل العربي بين فشل التحديث ورهانات الواقع

Arab Reason between the failure of modernization and the the real challenges

شنوف نصرالدين *[1]، إشراف: د.بلبولة مصطفى[2]

[1]جامعة حسيبة بن بوعلي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الشلف – الجزائر

[2]جامعة حسيبة بن بوعلي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الشلف – الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2019/09/18 | تاريخ القبول: 2019/11/11 | تاريخ النشر: 2019/12/31

الملخص: إن العقل العربي ومنذ اعلانه إرادة الاصلاح ونية التحديث المتعلقين بالبنى والأنساق الثقافية الناتجة عنه عبر مختلف المشاريع الفكرية النهضوية كان وفي كل مرة يجد نفسه أمام جدل سلب ليس من شأنه إلا أن يعمق الأزمة. وفي كل مرة كانت موضوعة الأصالة والمعاصرة مدار الجدل في الفكر العربي المعاصر. وإن المقاربة التحديثية المختلفة الطبوع التي حاول المفكرون العرب إقامتها كانت دوماً ترتبط بمدى تقبل العقل العربي حدث الحداثة. الحداثة من جهة المفهوم والتصور وباعتبارها الرؤية إلى العالم. وإن الحرج الحقيقي الذي عاناه العقل العربي هو اصطدام مقومات الحداثة أو بعضها بسلم قيم الثقافة العربية وواقعها.

الكلمات المفتاحية: العقل العربي؛ الحداثة؛ الأزمة؛ الثقافة العربية.

Abstract: Since it has shown its willingness to reform and its intention to modernize the structures and cultural systems engendered by itself, Arab reason has, each time, faced a situation that only aggravates its crisis. And each time, the theme of "tradition and modernity" occupies the center of discussions in modern Arab thought. The modernizing approach, which Arab thinkers have attempted to establish, has always been linked to the degree of reception of modernity, as a concept and vision of the world, by Arab reason. The real embarrassment suffered by Arab reason lies in the divergence between the components of modernity and the values of Arab culture.

Keywords: modernity ; Arab Reason ; Arab Culture ; Crisis.

* الباحث المُرسل: chennoufnasreddine92@gmail.com

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

مقدمة:

تعتبر مقولة الحداثة من أهم المقولات الفلسفية المعاصرة التي خلفت جدلاً واسعاً في الفكر العربي المعاصر، من خلال مقاربة الحداثة مع واقع الثقافة العربية الإسلامية على وجه الخصوص ومدى استعداد العقل العربي لتقبلها في ظل هذه التقلبات القيمية التي تشهدها الساحة المعاصرة، وكذلك محاولة البعض حصرها في أفق الزمان الفكري الذي انبثقت منه في الغرب، وإصرار البعض الآخر على تبيئتها باعتبارها حدثا وجودانيا لا يمكن تجاوزه.إن جعل الحداثة مدار الفكر في الثقافة العربية الراهنة دليل على وجود أزمة حادة يعانيها العقل العربي؛ أزمة من شأنها أن تجعل هذا العقل يعيد النظر في خصوصياته ومقولاته وكذلك في علاقته مع الواقع بعامة. ولمعالجة الموضوع فلسفياً نطرح التساؤل التالي: ما الحداثة؟ وما مقوماتها؟ وماهي أهم المقاربات الفلسفية العربية المعاصرة لمقولة الحداثة والتحديث؟ وماهي سبل الخروج من التفكير التقليدي إلى رحاب الابداع باعتباره جوهر الحداثة ذاتها؟.

1. جدل المفهوم والواقع.

مما لا شك فيه، أن الفكر العربي المعاصر من حسن حنفي ومحمد عابد الجابري إلى علي حرب وطه عبد الرحمن وعبر هذا المسار الطويل والزاخم بالأسماء، ظل دوماً يسعى إلى محاولة الاهتداء بخريطة طريق فكرية من شأنها أن تساعد العقل العربي على الخروج من محنته أو على الأقل المساهمة في عقلنة أزمته. وكادت تشكل مقولة الحداثة (مفهومها وطبيعتها ومرتكزاتها وعلاقتها بمقومات المجتمع العربي الإسلامي) حجر الزاوية في كل هذه الخطابات على تباينها واختلافها. اختلاف في الخطاب وطبيعته نرجعه من جهة إلى تنوع الرؤى والمناهج وتعددها وأيضاً إلى الطبيعة الهلامية التي يتصف بها مفهوم الحداثة وكذلك ملابسات خروجه إلى العلن وفضاضته بانتقاله عبر العديد من ميادين المعرفة،

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

ليستقر الحديث عنه كوصفٍ لإحدى أهم المحطات التاريخية في الفكر الغربي أوفي العالم البشري ككل.[1]

يصف (علي حرب) تصوره للحداثة بأنه كانتيجة قراءاته المختلفة لما كتب حولها، ولعل المتمعن في خطاب ما حول الحداثة في الفكر العربي المعاصر يجد الكثير من التضارب بين المفكرين حول الموقف من الحداثة وكيفية التعامل معها في السياقات العربية على وجه الخصوص، فإذا كانت عند (عبد الكبير الخطيبي) تعني إبداع المستقبل وبناءه[2]، من خلال إبانته على التعالقية الشديدة بين الفكر ومقولة المستقبل باعتبارها ثورة وتجاوزا مستمرين وحركة أشغال لا تنتهي، وفي نفس السياق نجد المفكر (علي أومليل) ينظر إليها على أنها عملية متكاملة، بما هي اكتساب معرفة متقدمة، ورفع لمستوى المهارات واستعاب التكنولوجيا المتطورة، وإنتاجية منافسة[3]، ما يجعلها قائمة على مبدأ التغيير من أجل التغيير، لكونها تجديدا لا يتوقف، أواعتدامية إيجابية لا استقرار لها، كيف لا؟ وهي فتح الإمكان على التطور والبحث، وعلى تنمية القوى المنتجة والوعي بالذات.

إذا كان مفهوم الحداثة جديدا لا يخلو من الالتباس، ومصطلحا متعدد الدلالة من العسر كل العسر تطويق معناه[4]، فإننا بالكاد نجد اختلافا حول مقوماتها وأسسها، إذ يجمع الباحثون بأن الحداثة لم تقم إلا على العقلانية والذاتية والفردية والحرية والإنسية، إنها الإستعقال والإلتفاف والعناية بالذات، أو بتعبير (عبدالله العروي) تنطلق من الطبيعة، معتمدة على العقل في صالح الفرد لتصل إلى السعادة عن طريق الحرية[5]. إن تنوع الفهوم حول مفهوم الحداثة من فيلسوف لآخر تبعه أيضا اختلاف حول طابعها الوجوداني. لم يعد من البديهي إرجاع

[1]-أنظر: طه عبد الرحمن، روح الحداثة "المدخل إلى تأسيس حداثة إسلامية"، المركز الثقافي العربي، المغرب.لبنان، ط2، 2009، ص23.

[2]- أنظر: محمد الشيخ، رهانات الحداثة،دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط1، 2007، ص 249.

[3]- محمد الشيخ، رهانات الحداثة، المرجع نفسه، ص 269.

[4]- طه عبد الرحمن، روح الحداثة "المدخل إلى تأسيس حداثة إسلامية"، المرجع نفسه، ص24.

[5]- طه عبد الرحمن، روح الحداثة "المدخل إلى تأسيس حداثة إسلامية"، المرجع نفسه، ص31.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الحداثة إلى السياقات التاريخية الغربية والقول بإنتمائها التعسفي لجهة من العالم دون الجهات الأخرى. يرى (طه عبد الرحمن) أن التعاريف الفلسفية العربية للحداثة على اختلاف قوة إحاطتها بالمفهوم والسياق تقع في التهويل حتى تبدو الحداثة وكأنها «كائن تاريخي عجيب يتصرف في الأحياء والأشياء كلها تصرف الإله القادر بحيث لا راد لِقَدَرِهِ، والحال أن هذا التصور للحداثة تصور غير حداثي (...) فليست روح الحداثة كما غلب على الأذهان، من صنع المجتمع الغربي الخاص، حتى كأنه أنشأها من العدم، وإنما هي من صنع المجتمع الإنساني في مختلف أطواره، إذ إن أسبابها تمتد بعيداً في التاريخ الإنساني الطويل»[1]. وأياً كانت هذه الحداثة سواءً كانت العقلنة أو العلمنة أو الدمقرطة، فإنها بلا شك هي هذا الإختلاف الذي سيصير في يوم من الأيام جزءا لا يتجزأ من ماهيتها وجوهر لا يفارق حقيقتها. على هذا الأساس يقدمها (هشام شرابي) على أنها في الجوهر ليست إلا عملية انتقالية التحول من نمط معرفي إلى نمط آخر يختلف عنه جذرياً وهي «انقطاع عن الطرق التقليدية الأسطورية لفهم الواقع وإحلالها بأنماط فكرية جديدة»[2].

2. الحداثة العربية من البعد اليوتوبي إلى علم المستقبل.

يدخل (على حرب) على موضوعة الحداثة من ثلاثة مداخل فلسفية: الحديث عن الحداثة من حيث هي فلسفة قائمة بذاتها، وأيضاً بوصفها مطلبا ملحا بالنسبة للعقل العربي المعاصر وكذلك عبر المقاربة التأويلية التي تمكنه من تجاوز القراءة اللاحداثية للحداثة. إن الحداثة من هذا المنظور التفكيكي ليست أبداً قطع الصلة بالتراث أو طريقة لإحداث القطيعة الجذرية مع الماضي، بل هي استراتيجية في تعامل المرء مع لغته وتراثه وأصوله، تمكنه من صنع هويةٍ أكثر انفتاحاً وغنى وأكثر قدرة وفاعلية[3].

[1]- هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، تر: محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية ط2، 1993، ص26.
[2]- علي حرب، الممنوع والممتنع" نقد الذات المفكرة"، المركز الثقافي العربي، المغرب.لبنان، ط4، 2005، ص251.
[3]- علي حرب، الممنوع والممتنع، المرجع نفسه، ص251.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

إن الإنسان هو علاقته بقديمه وبتاريخه وتراثه، وإنه ثمرة تلك العلاقة المنتجة النقدية مع أصوله، لا يشكل الأصل هنا سلطة في ذاته، بل إن الأصل نفسه يتغير ويتحول بناءً على طبيعة القراءات الخاضع لها. هكذا يمكننا تجاوز إنتاج الثنائيات الواهية التي تجعل الحداثة في مقابل التراث، إنها ليست شيئا سوى إعادة بعث ذلك التراث بصورة خلاقة ومثمرة. بناءً على هذا، يفصل (على حرب) بين طريقتين في التعامل مع الحداثة: الطريقة التقليدية التي يمثلها المُبَجِّلُونَ والمعظمون للنص الحداثي وأصحابه والمبشرون والمُرَوّجونَ له وكأنهم في مؤسسات إشهارية أو في مواقع تشهيرية، هؤولاء في نظره لا يحسنون شيئا سوى الدعاية على سبيل يخلو من الجدة والابتكار في إعادة القراءة والفهم. هذا الموقف سيطول نقده إذ يجسد النزوع الأصولي في القراءة الحداثية، كيف لا، وهم قد تعاملوا معها وكأنها شعارات ومقولات كلية مطلقة، أو كأقانيم جرى التعلق بها لذاتها، إنهم مارسوا حداثتهم على نحو من الإستهلاك لا على سبيل الإنتاج والإبداع، وهذا ما يسميه (علي حرب) بالفهم المقلوب للحداثة: «إنهم يتعاملون مع الحداثة التي تشكلت كموقف نقدي من العقائد والمذاهب، بعقل تقليدي، بوصفها ديانة جديدة، مما يعني أنهم أقل حداثة واستنارة بكثير مما يحسبون»[1].

على هذا الأساس ظل الحداثي العربي، أو من يحسب نفسه كذلك، يتعامل مع النصوص والخطابات بمنطق التماهى والتعلق غير مستفيد من الفتوحات المعرفية الجديدة التي تتعامل مع الوقائع الخطابية على سبيل الدرس والتحليل أو النقد والتفكيك، فقرؤا النص كما قدم نفسه، بوصفه خطاباً يتساوى مع ما يقوله أو مفهوماً يتواطأ مع مرجعه، إنهم وقعوا أسرى الحداثة بقدر ما تعاملوا معها بمنطق قدسي إيماني، ثبوتي أقنومي، «لقد أمنوا بها حتى باتت مجرد تقليد أو تحجر أو لغو وتكرار لشعارات فقدت مصداقيتها من فرط خوائها أو من فرط انتهاكها»[2]، إنه

[1]- علي حرب، تواطؤ الأضداد" الآلهة الجدد وخراب العالم"، منشورات الإختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008، ص65.

[2]- علي حرب، تواطؤ الأضداد، المرجع نفسه، ص65.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

العجز العربي المتوقف على معاملة الأفكار بطريقة سحرية ما ورائية، والإقامة في سجون الألفاظ واللغات والاشتغال بحراسة الأفكار والمقولات، وما كان نتيجة هذا إلا تحويل الإمكان الوجودي إلى عجز فكري ضرب بأطنابه جوهر الحياة الإنسانية العربية على ما نعيشه اليوم من تخلف وتراجع، ففي حين عمل الغرب على تهيئة الأسباب العلمية والثقافية والاجتماعية لبناء فكر ديمقراطي تحرري وحداثي، عمل بالمقابل المثقف العربي على التعامل مع العقل والتنوير والتقدم بوصفها شعارات تُعْبَد أو مقولات مقدسة تحفظ، «فالحداثيون العرب نظروا إلى الحداثة بوصفها أصلاً يقتدى أو نموذجاً يحتذى أو حقيقة متعالية على الحوادث أو خطابا يتطابق مع مَعْنَاه، ولذا لم يستطيعوا أن يقيموا مع حداثتهم علاقة فعالة وراهنة»[1].

هذا ما تجسده الكثير من الكتابات الفلسفية العربية، إذ انقسم منظرو الحداثة بين مؤيد ومعارض، بين متسائل عن مصير التراث أمامها وبين متخوف عن قيم الإسلام منها!!. إنها الذهنية الإيديولوجية التي تتعامل مع الأحداث والأفكار وفقاً لسياسة الرفض أو الإقصاء، القبول أو الإدانة، متناسين بأن الحداثة مثلها مثل أي حدث فكري آخر يجدر بنا التعامل معه على نحو يتيح لنا صقل وسبر المتغيرات الحاصلة على مسرح الوجود بشكل إيجابي يساعدنا على بناء ذواتنا وتطويرها والمساهمة في ارتقائها، فالحداثة ليست حقيقة تعلو على الوقائع بقدر ماهي مجمل فتوحاتها ومحطاتها وتحولاتها، أي محصلة ما حدث وتحول لكي نتحول معه أو عبره، وهي ليست معتقداً ينبغي تصديقه كما يقدم نفسه، بقدر ماهي خطابات ينبغي الالتفات إلى ما جعلها ممكنة بإخضاعها للنقد والتحليل للكشف عن أبعادها وظلالها[2].

[1]- علي حرب، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية" مصائر المشروع الثقافي العربي"، المركز الثقافي العربي المغرب.لبنان، ط1، 2001، ص37.
[2]- علي حرب، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، ص38.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

من هنا جاءت دعوة علي حرب لنقد الحداثة والتحول من حراسة الشعارات وكأنها ممتلكات أو أيقونات إلى التعامل مع الأفكار والنصوص والخطابات بوصفها منظومات يقينية أو مرايا للحقيقة بل بإعتبارها أمكنة خصبة للتأويل والقراءة، تلك الأمكنة التي ينتج عنها إعادة إنتاج المعنى من خلال خرق الكلمات وتحويل العبارات وصرف الألفاظ، لنتحول بذلك من لغة إعادة إنتاج الواقع إلى لغة التوليد والتحويل، وهذه الأخيرة هي اللغة الحقيقية، إنها لغة مفهومية تتيح لنا السيطرة على قوانين الواقع والتحكم فيه وتجديده باستمرار، بواسطة سبر الممكن بالتطابق مع طبيعة الأشياء أو نظام العقل، وتشريع العقل حتى لا يتيه أن يظل. هكذا فقط نتمكن من خرق منطق الحتمية التاريخية والمساهمة في انتهاك أحكام العقل وقواعده والعمل على تحرير الفكر الإنساني من أَسْر البنى والنماذج والأصول.

إن مصطلح التحليل الأصولي لا يحلينا إلى الأصولية كعقيدة أو إيديولوجيا جامدة، إنه يعني فيما يعنيه تفكيك معنى الأصل ووحدانيته، إذ يهدف إلى نسج علاقات جديدة بإستمرار مع الأصول، يجعلها تتحرك بحركة الزمان والتاريخ. وبناءً على هذا، كانت ما بعد الحداثة تقوم على تفكيك البُنَى والنماذج الثقافية والكشف عما تنطوي عليه الأفكار والأقوال والأفعال مما هو اعتباطي وعابر أو حادث أو طارئ، أو غير معقول وغير مشروع؛ إنها صيغة جديدة من صيغ الوجود وعلاقة مركبة وملتبسة بين الأنوات والأشياء والعالم[1]، يتحول الإنسان وفق المحددات الكبرى لما بعد الحداثة من كائن عاقل إلى كائن ذي فكر، يعقل من فرط لامعقوليته بكشف أصنامه واستهاماته (les fantasmes)، لتتحول علاقته بالعقل من طابعها الطبيعي البسيط إلى علاقة مراس وجهد وبناء لا ينقطع، فالعقل هو علاقة بين المرء وفكره لا تقوم على التطابق والمساواة بقدر ما تُنْسَجُ من الاختلاف والتوتر أو تقوم على الاستباق والتجاوز، فالإنسان لا يتساوى مع إمكاناته، بل هو دوما (أكثر مما هو عليه) بحسب صياغة (مارتن هيدغر) للواقع

[1]- علي حرب، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، ص33.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الإنساني[1]، فإذا كان كانط قد حاول الوقوف على معرفة حدود العقل المحض، فإن ما بعد الحداثة تعمل على كشف أوهام الحديث عن العقل الخالص، مُحَاوِلَةً بذلك خرق شروطه وتجاوز حدوده، إذ ليس العقل وفقاً لتصور مابعد الحداثة . مجرد أداة نستقصي بها الواقع وسنطرده، وليس فطرة نجري بمقتضاها، وإنما هو صناعة نتحول بها ونحول من خلالها علاقتنا بالأشياء، بقدر ما نخلق بفكرنا مدى للوجود أو إمكاناً للحياة، ولنضفي صفة الشمولية على كل خطاب لجأ فيه العقل في نمط تفكير ما بعد الحداثة إلى مفاهيم من قبيل التفكيك والتشتت والإرجاء والاختلاف، هذا ما عبر عنه "أرنولد توينبي" واصفاً وضع ما بعد الحداثة بثلاث خصائص أساسية هي: اللاعقلانية والفوضوية والتشويش[2].إنها عهد أفول المرويات الكبرى بتعبير (جون فرانسوا ليوتار) ضد السرديات والإديولوجيات أيٍ كانت الأسماء، وضدَّ البنى الشكلية التي أسستها الحداثة.

ينتقد (علي حرب) الحداثيين العرب الذين تعاملوا مع الحداثة بمنطق لا حداثي متناسيين ما جعل من الحداثة ممكنة، أي تلك الروح النقدية بين الفكر ومنتوجاته وما بين العقلانية والأنساق المعرفية والخلقية والجمالية، إذ نظروا في الفكر العربي إلى الحداثة بعين الإيديولوجية لا بمنطق الحدث ولغة المفهوم، قبولاً أو رفضاً، بدلاً من أن يخضعوها للنقد والتحليل أو التأويل والتفكيك، لسبر إمكاناتها أو لتوسيع فضاءاتها، ولذا ينادي بضرورة الأخذ بالإستراتيجية النقدية المعاصرة التي تجلت فاعليتها في محطات فكرية مختلفة، من أبجدية غاليلي إلى دهرية فولتير، ومن الشك الديكارتي إلى النقد الكانطي، وصولاً عند جدلية هيغل التي أنتجت لنا مادية ماركس، وقوفاً عند حفريات نيتشه التي أخرجت لنا تفكيكات هيدغر ودريدا ودولوز وقبلهم فوكو. هكذا فإن الحضارة العربية الإسلامية، بإعتبارها حضارة نص، وبإستعانتها بهذه الإستراتيجية النقدية، لا تلغي

[1]- علي حرب، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، ص30.
[2]- أنظر: محمد الشيخ، رهانات الحداثة، مرجع سابق، ص192.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

مبدأ الإجتهاد الذي تنهض عنه بحثاً عن المعنى، أو دركاً للحقيقة أو بناءً للحكم أو حتى إنتاجاً للمعرفة، هذه الإستراتيجية التي مَكَّنَتْ (علي حرب) من تحقيق النقلة النوعية من نقد العقل إلى نقد النص في ضوء الطفرات المعرفية في ميادين اللغة والإناسة والتحليل النفسي والنقد الأدبي وأثريات المعرفة وعلم الكتابة ومنطق الحس وفلسفة الاختلاف[1]، كل هذا مَكَّنَهُ من تفكيك الترسانة المنطقية المصنوعة بمفردات الكلي والضروري والأحادي والمتعالي والماهوي إلى وضع مختلف شعارات الحداثة موضع المساءلة والمراجعة وعلى نحو أفضى إلى تغيير علاقتنا بمفردات وجودنا؛ بالحقيقة والعقل والنص، كما بالهوية والمعنى والعالم، ليتحول السؤال عند (علي حرب) من صيغة: من أكون؟ أو كيف أحافظ على ما أنا عليه؟ أو كيف أكون مخلصاً لتراثي ولذاكرتي؟، إلى السؤال بصيغة: كيف أغير نفسي بنفسي بإستمرار؟ كيف أُحَوِّلُ علاقتي بالأشياء والعالم على نحو يخدمني والمجتمع وبشكل دوري؟، مجاوزاً أهل القدامة الذين ينشدون ماضيا لن يعود، وبخلاف ديناصورات الحداثة الذين يتوقون إلى مستقبل يقبضونه على الحركة ويتخيلونه بصورة مسبقة ومطابقة، في حين لا مجال لتخيل الآتي. على هذا الأساس كانت ما بعد الحداثة حدثية بقدر ما هي محاثية، ومعنى كونها محاثية، «أنها لا تحيل الموجودات والواقعات إلى نماذج وصور أو إلى كليات ومطلقات، وإنما تقيم علاقة نقدية مع الأقوال والأفعال أو مع الأفكار والممارسات»[2] لتكون ما بعد الحداثة أكثر راهنية، إذ ينصب إهتمامها على الحاضر لا على الماضي أو المستقبل، ولا يعني هذا استبعاد الماضي وطبقاته ولا نفي المستقبل ومفاجآته، وإنما يعني أنه ليس بمستطاع أحدنا أن يكون ما بعد حداثي وهو يستشرف مستقبلا متوهما أو يعيش على وقع ماضٍ مزعوم.

[1]- علي حرب، المصالح والمصائر" صناعة الحياة المشتركة"، منشورات الإختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص94.

[2]- علي حرب، المصالح والمصائر، المرجع نفسه، ص94.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

لقد درجت فئة واسعة من النخبة العربية المفكرة على الاستسلام لخطابات ما بعد الحداثة دون التجرأ على نقدها أو فحصها، وحجتهم في هذا أن العقل العربي لم يبلغ بعد حداثته، وعليه فإن أي نقد للحداثة لا يستوفي شروط النقد الفلسفي الأصيل. كونه نقد من الخارج. إن العقل العربي حسب هذا الرأي ليس بمقدوره ولا بإمكانه أن ينتقد الحداثة كونه لم يرق بعد إلى تعقل أساليبها وطرقها ولم يتسنى له بعد الانخراط فيها وجودانياً، أما (علي حرب) فعلى النقيض من ذلك، يرى أن هؤولاء لم يدركوا بعد فقه الحداثة، فتخيلوا مستقبل العرب كماضي أوروبا قبل قرابة خمسة قرون، وظنوا أن على العربي أن يخضع للحتمية التاريخية كما حصل في الغرب لتكون الحداثة هاهنا كالقدامة، جوهرانية ما ورائية بمعنى أنها تقول بوجود ماهيات محضة وحقائق ثابتة، بقدر ما تعطى الأولوية للموضوعات والمحتويات والدِلالات على الأشكال والبنى والمنطوقات[1].

إن فشل مشاريع التحديث العربي بمختلف مشاربها ومنابعها جاء نتيجة التعامل السيء للحداثيين أنفسهم مع الحداثة، إذ قرؤوها بمنطق أصولي قدسي، فكان تعثر العقلانية وتراجع الاستنارة وفشل العلمانية، كل ذلك إنما مرده إلى أن أصحاب الشعارات الحديثة قد تعاملوا مع علمانيتهم بصورة لاهوتية، وتعلقوا بالعقل على نحو أسطوري وتعاطوا مع عصر التنوير بطريقة تقليدية أصولية وغير تنويرية، وفقاً لهذا لن نصبح حداثيين ما لم نشارك في تطوير هذه الحداثة، ولن نتمكن من هذا إلا عن طريق النقد بتحويلها من مجرد مذهب أو مدرسة إلى التعامل معها بوصفها فضاء يفتح آفاقاً لا نهائية للعقل ليفكر ويبوح، وليس «النقد العربي للحداثة التي لم تترسخ عنده بأمر سلبي، بل على العكس من ذلك، فنحن العرب لم نصبح حداثيين منتجين خلاقين، ليس لأننا لم نكتسب عقلانية المحدثين أو لم نَبْنِ على ما أسسوا، بل لأننا لم نحسن الاختلاف والتمييز عنهم بقراءة نصوصهم وأعمالهم قراءة معاصرة راهنة»[2]. إننا نخشى التباين ونهاب

[1]- علي حرب، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، مرجع سابق، ص28.
[2]- علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، المغرب.لبنان، ط3، 2004، ص115.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الاختلاف في زمن الاختلاف، لأننا ببساطة نعيش اغترابا حقيقيا، وهوة تَفْصِلُنَا عن واقعنا وعصرنا الذي نحن جزء منه، ولا سبيل لتحقيق الحداثة سوى العمل على تجاوز هذا الاغتراب الذي طال حتى الذات الإنسانية من داخلها.

خاتمة

إن طريقنا . نحن العرب . لتدشين عصرنا الحداثي نجده مبسوطاً في سياقاتنا الثقافية وأنظمتها، فالعقل الثقافي العربي يمزج بين المعقول واللامعقول مجاوزاً النظرة الأحادية للحداثة الغربية القائمة على المادية العقلانية، وباستطاعته أن يتحرر فقط حينما يستوعب المعنى الجوهري للحداثة بوصفها عملا لا ينتهي واستثمارا غير منقطع في الأحداث، وباعتبارها تدشينا فلسفيا لعصر البراكسيس الذي لا ينفصل عن القيم الكبرى المشكّلة لرؤية العالم، وما علينا اليوم سوى أن نتسلح بالروح النقدية التي من شأنها أن تتيح لنا تفكيك البنى والنماذج التقليدية وكشف أوهامها وفضح مفهوماتها. وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة مجاوزة الفكر الثنائي الذي سيطر على العقل العربي مع التشديد على أهمية التحليل الأصولي للعالم، فلا عقل من دون لاعقل، ولا حقيقة بمعزل عن الخطأ، ولا فردانية مستقلة عن كل حِسٍ كلاني.

قائمة المراجع:

1. طه عبد الرحمن، روح الحداثة "المدخل إلى تأسيس حداثة إسلامية"، المركز الثقافي العربي، المغرب.لبنان، ط2، 2009.
2. محمد الشيخ، رهانات الحداثة،دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط1، 2007.
3. هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، تر: محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية ط2، 1993.
4. علي حرب، الممنوع والممتنع" نقد الذات المفكرة"، المركز الثقافي العربي، المغرب.لبنان، ط4، 2005.
5. ـــــــــــ، تواطؤ الأضداد" الآلهة الجدد وخراب العالم"، منشورات الإختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008.
6. ـــــــــــ، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية" مصائر المشروع الثقافي العربي"، المركز الثقافي العربي المغرب.لبنان، ط1، 2001.
7. ـــــــــــ، المصالح والمصائر" صناعة الحياة المشتركة"، منشورات الإختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.
8. ـــــــــــ، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، المغرب.لبنان، ط3، 2004.